

هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ

(٧)

مفهوم السنن الربانية

د. رمضان خميس زكي

مدرس التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

تقديم: د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية

هذا هو الإسلام

(٧)

مفهوم السنن الربانية

دراسة في ضوء القرآن الكريم

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - يناير ٢٠٠٦ م

مكتبة الشروق الدولية



٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسي - القاهرة

تليفون وفاكس: ٢٥٠١٢٢٨ - ٢٥٠١٢٢٩ - ٢٥٦٥٩٢٩

Email: < shoroukintl @ hotmail . com >

< shoroukintl @ yahoo . com >

هذا هو الإسلام

(٧)

مفهوم السنن الربانية

دراسة في ضوء القرآن الكريم

د. رمضان خميس زكي

مدرس التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

تقديم : د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية

تمهيد

مقال في السنن الإلهية

د. محمد عمارة

قبل أكثر من مائة عام، وقف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] - وهو يفسر القرآن الكريم - وفتات غير مسبوق أمام الآيات القرآنية التي تتحدث عن سنن الله الحاكمة لعالم الكون المادي . . . ولعالم الاجتماع الإنساني . . . وأفاض في الحديث عن هذه السنن الحاكمة لحركة الكون . . . وسير التاريخ . . . وقيام الحضارات ومقروطها . . . وأسباب التقدم والتخلف في الأمم والمجتمعات . . . وتداول الأزدهار والانحطاط بين الناس . . .

ولقد تمتنى الإمام محمد عبده - يومئذ - أن يتبنى المسلمون - انطلاقاً من القرآن الكريم - علماً إسلامياً هو «علم السنن» أو «علم الاجتماع الديني» كما استخرجوا - من القرآن أيضاً - كل العلوم الشرعية في حضارة الإسلام .

ولقد أشار الأستاذ الإمام - وهو يتحدث عن حاكمية هذه السنن الربانية في الكون والاجتماع - إلى حقيقة فلسفية وعلمية وعقدية بالغة الأهمية، وهي أن حاكمية هذه السنن - التي لا تبدل لها ولا تحوّل - لا تعنى الجبرية التي تجرد الإنسان من حريته واختياره، وتسخره لقوانين هذه السنن . . . وإنما تعنى: أن وعى الإنسان بقوانين هذه السنن وقواعد حركتها هو الذى يجعل الإنسان قادراً على تسخيرها فى الاتجاه الذى يريد . . . ذلك أن كل ما فى هذا الكون - بما فى ذلك السنن والقوانين - هو مُسَخَّر من الخالق - سبحانه وتعالى - للإنسان الذى استخلفه الله لحمل أمانة عمارة هذه الأرض وفق الشرائع والقوانين التى وضعها الله . . .

فاكتشاف السنن، والوعى بقوانين حركتها، هو الذى يحقق سيطرة الإنسان عليها، ويجعله قادراً على مغالبتها وتسخيرها فى أداء الامانة التى استخلفه الله للنهوض بها. . بينما الغفلة، غفلة هذا الإنسان عن هذه السنن وغيبه وعيه عن قوانين حركتها هو الذى يجعله ضحية لهذه القوانين التى لا تبديل لها ولا تحويل حتى ولو حسنت نوايا هذا الإنسان، وعاش غارقاً فى بحار الأمنيات والأحلام والأدعية والتوسلات! . . وصدق الله العظيم: ﴿لَيْسَ بَأَمَانِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْرَبُهُ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].



وغير التعمير بالريادة فى الوعى بالاصول القرآنية لهذا العلم - علم السنن الإلهية . . والاجتماع الدينى . . خير الأستاذ الإمام بالإفاضة فى الحديث عن هذه السنن الإلهية وهو يفسر الآيات القرآنية التى أشارت إليها . . حتى نستطيع أن "نؤلف" من وفقاته فى هذا المقام "مقالاً فى السنن الإلهية" لا نجد له نظيراً عند غيره من العباقرة الذين تصدوا لتفسير القرآن الكريم . . وكيف لا . . وقد وصف الإمام محمد البشير الإبراهيمى [١٣٨٥ هـ - ١٨٨٩ - ١٩٦٥ م] تفسير محمد عبده للقرآن بأنه "المنهاج المعجزة" . . والتفسير لمعجزات القرآن . . المثبى بظهور إمام المفسرين بلا منازع . . الذى كان أبلغ من تكلم فى التفسير بياناً لهدى القرآن، وفهماً لأسراره، وتوفيقاً بين آيات الله فى القرآن وبين آياته فى الأكوان . . فكان - هذا التفسير - فيضاً من إلهام الله أجراه على قلب ذلك الإمام وعلى لسانه، بما لم تنطو عليه حنايا عالم ولا صحائف كتاب . . لقد جلا بدروسه فى تفسير كتاب الله عن حقائقه التى حام حولها من سبقه ولم يقع عليها . . فكان آية على أن القرآن لا يُفسَّر إلا بلساتين: لسان العرب ولسان الزمان^(١).



نعم . . نستطيع أن "نؤلف" مقالاً مختاراً فى علم السنن الإلهية، من الصفحات العديدة التى أفردها الأستاذ الإمام لهذا المبحث، الذى تفرد به من بين العباقرة الذين تميزوا فى تفسير القرآن الكريم . .

لقد قال الأستاذ الإمام - وهو يفسر قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا مِنْ فِلْكَكُمْ سِنِينَ فَمَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] : "إن

إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سنناً ، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم المدونة ، لنستفيد ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه ، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يسنون لها سنن الله في خلقه . كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال ، وبينها العلماء بالتفصيل ، عملاً بإرشاده ، كالتوحيد ، والأصول ، والفقه .

والعلم يسنن الله - تعالى - من أهم العلوم وأتقنها ، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة ، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها .

ولا يحتاج علينا بعدم تدوين الصحابة لها ، فإن الصحابة لم يدونوا غير هذا العلم من العلوم الشرعية التي وضعت لها الأصول والقواعد ، وفردت منها الفروع والمسائل . وإنني لا أشك في كون الصحابة كانوا مهتدين بهذه السنن وعالمين بمراد الله من وراء ذكرها . يعني أنهم بما لهم من معرفة أحوال القبائل العربية والشعوب القريبة منهم ، ومن التجارب والأخبار في الحرب وغيرها ، وبما منحوا من الذكاء واخذق وقوة الاستنباط كانوا يفهمون المراد من سنن الله - تعالى - ، ويهتدون بها في حروبهم وفتوحاتهم وسياساتهم للأمم التي استولوا عليها . وما كانوا عليه من العلم بالتجربة والعمل أنفع من العلم النظري المحض . وكذلك كانت علومهم كلها .

ولما اختلفت حالة العصر اختلافاً احتاجت معه الأمة إلى تدوين علم الأحكام وعلم العقائد وغيرهما ، كانت محتاجة أيضاً إلى تدوين هذا العلم ، ولك أن تسميه علم السنن الإلهية ، أو علم الاجتماع ، أو علم السياسة الدينية . سم بما شئت ، فلا حرج في التسمية .

ومعنى الجملة - [الآية] : انظروا إلى من تقدمكم من الصالحين والمكذبين ، فإذا أنتم سلكتم سبيل الله فعاقبتكم كعاقبتهم ، وإن سلكتم سبيل المكذبين فعاقبتكم كعاقبتهم . وفي هذا تذكير لمن خالف أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحد . ففي الآية محاربي أمن ومحاربي خوف . فهو على بشارته لهم فيها بالنصر وهلاك عدوهم ، بنارهم عاقبة الميل عن سنته ، وبين لهم أنهم إذا ساروا في طريق الضالين من قبلهم فباتهم ينتهون إلى مثل ما انتهوا إليه ، فالآية خير ونشريع ، وفي طيها وعد ووعد .

﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [النحل: ٣٦]: أي أن المصارعة بين الحق والباطل قد وقعت من الأم الماضية ، وكان أهل الحق يغلبون أهل الباطل ويتصرون عليهم بالصبر والتقوى ، وكان ذلك يجري بأسباب مضرورة ، وعلى طرائق مستقيمة ، يُعلم منها أن صاحب الحق إذا حافظ عليه يتصبر ويرث الأرض ، وأن من يتحرف عنه ويميل في الأرض فساداً يُخذل وتكون عاقبته الدمار . فسيروا في الأرض واستقروا ما حل بالأم ليحصل لكم العلم الصحيح التفصيلي بذلك ، وهو الذي يحصل به اليقين ويترتب عليه العمل .

والسير في الأرض ، والبحث عن أحوال الماضين ، وتعرف ما حل بهم هو الذي يوصل إلى معرفة تلك السنن والاعتبار بها كما ينبغي .

نعم ، إن النظر في التواريخ الذي يشرح ما عرفه الذين ساروا في الأرض ورأوا آثار الذين خلوا ، يعطى الإنسان من المعرفة ما يهديه إلى تلك السنن ، ويقيده عظة واعتباراً ، ولكن دون اعتبار الذي يسير في الأرض بنفسه ، ويرى الآثار بعينه ، ولذلك أمر بالسير والنظر .

ثم أتبع ذلك بقوله : ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ [آل عمران: ١٣٨] .

كأنه يقول : إن كل إنسان له عقل يعتبر به فهو يفهم أن السير في الأرض يدل على تلك السنن ، ولكن المؤمن المتقى أجدر بفهمها ، لأن كتابه أرشده إليها ، وأجدر كذلك بالاعتناء والاعتاظ بها .

إن لسير الناس في الحياة سنناً تؤدي بعضها إلى الخير والسعادة وبعضها إلى الهلاك والشقاء ، وإن من يتبع تلك السنن فلا بد أن ينتهي إلى غايتها ، سواء كان مؤمناً أو كافراً ، كما قال سيدنا علي : ﴿إن هؤلاء قد انتصروا باجتماعهم على باطلهم ، وخذلتهم بتفرقكم عن حقكم . ٤٠ .

• ومن هذه السنن : أن اجتماع الناس وتواصلهم وتعاونهم على طلب مصلحة من مصالحهم يكون ، مع الثبات ، من أسباب نجاحهم ووصولهم إلى مقصدهم ، سواء كان ما اجتمعوا عليه حقاً أم باطلاً ، وإنما يصلون إلى مقصدهم بشيء من الحق والخير ، ويكون ما عندهم من الباطل قد ثبت باستناده إلى ما معهم من الحق ، وهو فضيلة

الاجتماع والتعاون والثبات ، فالقضاة لها عماد من الحق . فإذا قام رجل بدعوى باطلة ، ولكن رأى جمهور من الناس أنه محقق يدعوه إلى شيء تافع . وأنه يجب نصره ، فاجتمعوا عليه ونصروه ، وثبتوا على ذلك ، فإنهم يتجهون معه بهذه الصفات . ولكن الغالب أن الباطل لا يدوم ، بل لا يستمر زمناً طويلاً ، لأنه ليس له في الواقع ما يزيده ، بل له ما يقاومه ، فيكون صاحبه دائماً متزئزلاً ، فإذا جاء الحق ووجد أنصاراً يجرؤون على منه الاجتماع في التعاون والتناصر ويؤيدون الداعي إليه بالثبات والتعاون ، فإنه لا يلبث أن يدفع الباطل ، وتكون العقوبة لأهله ، فإن شابت حقهم شائبة من الباطل أو انحرفوا عن سنن الله في تأييده ، فإن العقوبة تندرجهم بسوء التصير .

فالقرآن يهدينا في مسائل الحرب والتنازع مع غيرنا إلى أن نعرف أنفسنا ونكته استعدادنا لتكون على بصيرة من حقنا ومن السير على سنن الله في طلبه وفي حفظه ، وأن نعرف كذلك حال خصمنا ، ونضع اليزان بيننا وبينه ، وإلا كنا غير مهتدين ولا متعظين .

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٩] .

كأنه يقول : انظروا في سنن من قبلكم تجدوا أنه ما اجتمع قوم على حق ، وأحكموا أمرهم وأخذوا أهيتهم وأعدوا الكل أمر عديمه ، ولم يظلموا أنفسهم في العمل لتصورته ، إلا وظفروا بما ظفروا ، وعوضوا عما خسروا ، فحولوا وجوهكم عن جهة ما خسرتكم ، وولوها جهة ما يستقبلكم وتهضروا به بالعزيمة والحزم ، مع التوكل على الله - عز وجل - .

والحزن إنما يكون على فقد ما لا عوض منه . وإن لكم خير عوض مما فقدتم ، وأنتم الأعلون برجحانكم عليهم في مجموع الوقعتين ، بدر واحد . إذ الذين قتلوا منهم أكثر من الذين قتلوا منكم ، على كثرتهم وقلنتكم .

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران : ١٤٠] : هذه قاعدة كشافة فقد حلت من قبلكم سنن [آل عمران : ١٣٧] ، أي هذه سنة من تلك السنن ، وهي ظاهرة بين الناس ، بصرف النظر عن المحققين والمبطلين .

والمداولة في الواقع تكون مبنية على أعمال الناس ، فلا تكون الدولة لفريق دون آخر جزافاً ، وإنما تكون لمن عرف أسبابها ورعاها حق رعايتها . أي إذا علمتم أن ذلك سنة فعليكم ألا تهتوا ولا تضعفوا بما أصابكم ، لأنكم تعلمون أن الدولة تدول .

والعبارة تومئ إلى شيء معطى كان معلوماً لهم ، وهو أن لكل دولة ، فكأنه قال :
إذا كانت المداولة منوطة بالأعمال التي تفضي إليها ، فعليكم أن تقوموا بهذه الأعمال
وتحكموها أتم إحكام ..

وإن العلم إذا لم يصدق العمل لا يعتد به .. وإن المسلم ما خلق ليلهو ويلعب ، ولا
ليكسل ويتواكل ، ولا لينال الظفر والسيادة بخوارق العادات ، وتبديل سنن الله في
المخلوقات ، بل خلق ليكون أكثر الناس جدّاً في العمل ، وأشدّهم محافظة على
النواميس والسنن ... (٢١) .



• السنن الكونية .. والاجتماعية

«لقد كشف الإسلام عن العقل غمة من الوهم فيما يعرض من حوادث الكون الكبير
«العالم» ، والكون الصغير «الإنسان» ، فقرر أن آيات الله الكبرى في صنع العالم إنما
يجرى أمرها على السنن الإلهية التي قدرها الله في علمه الأزلي ، لا يغيرها شيء من
الطوارئ الجزئية ، غير أنه لا يجوز أن يُعقل شأن الله فيها ، بل ينبغي أن يحصى ذكره
عند رؤيتها ، فقد جاء على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - «إن الشمس والقمر آيتان
من آيات الله ، لا يُخسفان لموت أحد ولا لحياته» ، فإذا رأيتم ذلك فادكروا الله» ، وفيه
تصريح بأن جميع آيات الكون تجري على نظام واحد ، لا يقضى فيه إلا العناية الأزلية
على السنن التي أقامته عليها .

* ثم لما طالت اللثام عن حال الإنسان في النعم التي يتمتع بها الأشخاص أو الأمم ،
والمصائب التي يروّون بها ، ففصل بين الأمرين فصلاً لا مجال معه للخلط بينهما ، فأما
النعم التي تمتع الله بها بعض الأشخاص في هذه الحياة ، والبرزايا التي يروا بها في نفسه
فكثير منها ، كالثروة والجاه والقوة والبنين أو الفقر والضعة والضعف والفقر . قد لا
يكون كاسبها أو جالبها ما عليه الشخص في سيرته من استقامة وعروج ، أو طاعة
وعصيان ، وكثيراً ما أهمل الله بعض الطغاة البغاة ، أو الفجرة الفسقة ، وترك لهم متاع
الحياة الدنيا ، وكثيراً ما امتحن الله الصالحين من عباده ، وأثنى عليهم في الاستسلام
لحكمه ، وهم الذين إذا أصابتهم مصيبة عبروا عن إخلاصهم في التسليم بقولهم : ﴿ إنا

...
...
...
...
...
...
...
...
...

الموت المحفوظ بالخزي والعار ، وأن الجبهة تُعريه نصبة هي خدعة منه المحفوظة من
عدوان المعتدين ، فلا تقصروا في حماية جامعتكم في الملة والدين¹

• من سنن الاجتماع المشوي لاملء الكاهرين

$$^{\circ} \quad \text{for } \lambda \in \mathbb{R} \text{ and } \mu \in \mathbb{R} \text{ such that } \lambda + \mu = 1 \text{ and } \lambda, \mu \geq 0$$

26

The first part of the paper discusses the importance of understanding the underlying mechanisms of the system being studied. This involves identifying the key variables and their interactions, which can often be complex and non-linear. By developing a clear conceptual model, researchers can better understand the system's behavior and predict its response under different conditions.

In addition, the paper highlights the need for rigorous data collection and analysis. Accurate measurements and robust statistical methods are essential for drawing valid conclusions from the data. The authors emphasize the importance of transparency in reporting results and the limitations of the study, as well as the potential for future research to build upon the findings presented here.

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840.

في حد نفسه هي تعمل لصالح وتضميره هي عمل السنات، والعمرة حوائج
فكأنه قد يهدد لإملاء منك قريش من عديفة من به بهم، وي هو حتى غير حسنة
في الحق، وهي أن يكون ما يصب لإسان من حمر وشر هو ثمرة عمه

وهم يسلم في ...
... في ...

• سنة التبديل والتغيير

...
شديد العقاب [البقرة ٢١١]

ولاية عشرة لسمي طي نقران من المؤمنين به، لا حكاية نار حية عن بي
... هل يعتبرها ...
بدي يتقنن طله عن رؤوسهم عما بعد مام، وغيرهم بدي تتحفظه منهم حورث
لأيام ما بينهم الله تعالي، لا بعد ما تدبر نعمته عليهم ...
الله جميع ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم ذكروا أعداء فالف بين قلبكم لا محسوم
نعمته حورثا [ال عمران ١٠٣] - ذلك بأن الله لم يك معبرا نعمة أعمها على قوم حتى
يعبروا ما بأنفسهم [الأفال ٥٣٠]

...
...
...
...
...

• السنن الجارية.. والسنن الخارقة

...
...

[illegible]

[Faint, illegible handwritten notes]

حق في حادثة عقلاً ، و في سبب لها خداع حصص ولا رتد عنها ، لا مانع من
 وقوعها بغير منه - تعالى - عسى نرى من الأنبياء . ويحب أن يؤمن به عسى تدره
 ولا معاهد . لا يار من الأسماء بس من - تعالى - في خلق ، و عتد أن لا
 تشد . ولا سحر ، كما قال منه تعالى - في كتابه يدى حتم به و حتى عسى حذر منه
 يدى حتم به سحر ، فانتهى ذلك زمن المعجزات ، ودخل الإنسان بدين الإسلام في
 سبب برشد ، فلم تعد منه مشابيح و حتى خدعه به إلى الإيمان وتقوية و يعرض
 مستظرة من من عسى لأعداء في تفكر و لأعداء كما قال في من يعظه
 سوعية ، من 'رشد' - تعالى - و حتى لأخيراً - غير - إلى مستعجاب عقده و تحصيل
 الإيمان بالله و و حتى ثم جعل به كل برشد و بوحي منه معلنه مدانة حتى في مقدم
 أدب كما أوضح ذلك في [رسمه في توحيد]

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ الَّذِي يَصْعَدُ فِيهِ السَّمَاءُ كَالْعِظَّةِ وَنَجْمَاتُهَا كَالْمُحِبَّاتِ وَهُوَ يَوْمٌ تُبْعَثُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي كَانَتْ تُخْفَى عَنْ عَيْنِ النَّاسِ وَفِي يَوْمِهِمْ الَّذِي يَصْعَدُ فِيهِ السَّمَاءُ كَالْعِظَّةِ وَنَجْمَاتُهَا كَالْمُحِبَّاتِ وَهُوَ يَوْمٌ تُبْعَثُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي كَانَتْ تُخْفَى عَنْ عَيْنِ النَّاسِ

وزعم الذين لا يحسون المعجزات من المنتهزِينَ أن عبور بنى إسرائيل البحر كان إبان الجزر، فإن في البحر الأحمر زقاقاً إذا كان الجزر الذي عهد هناك شديداً تيسر للإنسان أن يعبر ماشياً، ولما اتبعهم فرعون بجنوده ورأهم قد عبروا البحر تأثرهم، وكان المد تفيض ثوابه - وهى المياه التى تجري عقيب الجزر - فلما تجاوز إسرائيل كان المد قد غطى وعلا حتى أغرق المصريين .

تحقق إنعام الله على بنى إسرائيل يتم بهذا التوفيق لهم وإحذالان لعدوهم ، ولا ينافى الامتنان به عليهم كونه ليس آية لموسى عليه السلام . فإن نعم الله بغير طريق المعجزات أعم وأكثر .

كذا قالوا - [المنتهزون] : المنكرون للمعجزات] .

ولكن ، يدل على كونه آية له - [لموسى] . وصف كل فرق بأنه كالطود العظيم . وإذا تيسر تأويل كل آيات القصة من القرآن فإنه يتيسر تأويل قوله تعالى - فى سورة الشعراء - ﴿فَانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ [الشعراء : ٦٣] .

وهو الموافق لما فى التوراة . (١١)

﴿ ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ [النساء : ١٢٣] .

وإذا طيقنا المسألة على سنة الله التى لا تبدل لها ولا تحويل ، علمنا أن مصائب الدنيا تكون جزاء على ما يقصر فيه الناس من السير على سنن الفطرة وطلب الأشياء من أسبابها ، واتقاء المضرات باجتناّب عللها ﴿وما أصابكم من ضربة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى : ٣٠] (١١)

.. إن القول بنفى الرابطة بين الأسباب والمسببات جدير بأهل دين ورد فى كتابه - [الإنجيل] : أن الإيمان وحده كاف فى أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل : تحوّل عن مكانك ، فيتحول الجبل ! .. يليق بأهل دين تُعد الصلاة وحدها ، إذا أخلص المصلّى فيها ، كافية فى إدارة على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصرى ! ..

وليس هذا الدين هو الإسلام.

دين الإسلام هو الذي جاء في كتابة : ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة : ١٠٥] - ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، ﴿سَبَّحَ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب : ٦٢] وأمثالها .

وليس من الممكن لمسلم أن يذهب إلى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب في السببية المسببية إلا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله ! . . .^(١٢)



هكذا تحدث الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عن علم السنن الإلهية . علم الاجتماع الإسلامي . . . والسياسة الدينية . . . فكان أول داعية لتأسيس هذا العلم ، الذي ما زال ينتظر الاجتهادات والإبداعات ، التي تحقق أمنية الأستاذ الإمام ، التي تمنّاها قبل أكثر من قرن من الزمان ! ولما كان هذا الكتاب الذي نقدم بين يديه . [مفهوم السنن الربانية] للدكتور رمضان خميس زكي . هو . في حدود ما نعلم . من أوفى الدراسات التي عرضت لهذا البحث . . . ومن أدق هذه الدراسات . . . حتى إنه ليس بميلاد كاتب واحد . وباحث يشق طريقه بجدارة ملحوظة ومنمّيزة في حياتنا الفكرية والعلمية . . . فلقد أثرنا أن يكون التقديم لهذا الكتاب . عن [مفهوم السنن الربانية] . ذلك المقال الذي اخترنا فقراته ، وألفنا بينها ، من إبداعات الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . المؤسس الحقيقي لهذا العلم الإسلامي في تراثنا الحديث .

والله نسأل أن ينفع بهذا الكتاب . . . وأن يزيد في العطاء العلمي لكتابته . إنه . سبحانه وتعالى . خير مسئول وأكرم مجيب

د . محمد عمارة



الهوامش

- (١) [أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي] ج١ ص ٣٢٧، ٣٤٣ ج٢ ص ٢٥٢، جمع وتقديم: د. أحمد طالب الإبراهيمي، طبعة بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م.
- (٢) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبيد] ج٥ ص ١٠٥، ٩٩، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢م.
- (٣) المصدر السابق، ج٣ ص ٤٥٤، ٤٥٣.
- (٤) المصدر السابق، ج٤ ص ٤٢١، ٤٢٢.
- (٥) المصدر السابق، ج٥ ص ١٣٠، ١٤٧.
- (٦) المصدر السابق، ج٤ ص ٦٩٦، ٦٩٥، ٦٩٢.
- (٧) المصدر السابق، ج٥ ص ١٣٨.
- (٨) المصدر السابق، ج٤ ص ٥٣٧.
- (٩) المصدر السابق، ج٥ ص ٣١.
- (١٠) المصدر السابق، ج٤ ص ١٨٣، ١٨٤.
- (١١) المصدر السابق، ج٥ ص ٢٧٨.
- (١٢) المصدر السابق، ج٣ ص ٥٠٢.



مفهوم السنن الربانية

• قبل أكثر من مائة عام، دعا حكيم الإسلام الشيخ محمد عبده علماء المسلمين إلى أن يستخرجوا من القرآن الكريم «علم السنن الإلهية» الحاكمة لحركة الكون وسير الاجتماع الإنساني.. وذلك لاكتشاف قوانين التقدم والسنهوض.. وأسباب التخلف والانحطاط.. حتى نأخذ بالأولى ونحذر الثانية..

• ومنذ ذلك التاريخ، تبلورت - في الفلسفات الأخرى - علوم للاجتماع - پروتستانتيية.. وليبرالية.. وماركسية.. وفي لاهوت التحرير.. وغيرها كثير.. بينما ظلت الدراسات شحيحة جداً في ميدان بلورة علم الاجتماع الإسلامي!..

• وإذا كان الحديث عن صحوة إسلامية.. ومشروع حضاري إسلامي، سيظل حديثاً منقوصاً دون البناء لأسس هذا العلم الإسلامي الهام، فإن هذه الدراسة المتميزة والممتازة التي يحملها هذا الكتاب، هي إسهام كبير في هذا الميدان..

وهي تعلن عن كاتب ومفكر واعد بالخير الكثير إن شاء الله.

د. محمد عمارة

